

# دانتى أليغيري كتب للآتين من المستقبل

## دومينيكو دي مارتينو: الشاعر يريد اقتياد العالم نحو السعادة



aljadedmagazine.com

### كل ما يحدث في «الكوميديا الإلهية» يرمي إلى التحرر (غرافيك الجديد)

الشاعر ملقاة من قبله (إلى جانب الترجمة الإيطالية) يوضح لي المحتوى الذي يخبر عن أشياء وأحداث رهيبية مأساوية ودراماتيكية، ومع ذلك فقد بدت لي تلك القراءة تواجهها مع فلسفة قديمة علمت البشرية طرائق للتعامل مع ذلك النوع من الماسي، وكيف رواية. لم أكن أرى أمامي مجرد الشاعر الغرد، بل جزءاً من لوحة كاملة لتاريخ روى الكثير من الأشياء والأحداث، وهو التاريخ نفسه الذي يروي في لحظة تلك القراءة، عبر هذا الشاعر العربي، عما يحدث الآن في بلده سوريا.

حتى الابتسامة الحزينة التي كانت تقبدي على ملامح الشاعر بين الفينة والأخرى في لحظات قرائية، كنت أراها تلميحاً إلى قدرة ذلك التاريخ على منح الأمل رغم المأساة. لقد كان ذلك الأمل بالذات هو ما يحرك تلك القصائد، كل ذلك ما كان ليبلغني لولا مشاهدة الشاعر والاستماع إليه وهو يذيع قصائده بصوته وتعبيره، فقد كان يضع كل المعاني في إطار إيقاعي، بدا لي عريقاً وقريباً في آن، وذكرني بمقدرة الحكايات المجتهدين في رواية الأحداث، بطريقة شعبية، طريقة شاملة ومتجاوزة مع المستمع، وهو ما كان يولّد فضاء يدعو إلى التأمل وإعادة التفكير بالقيم المتباينة والمتوافقة.

### كتاب عن الحياة

■ **الجديد:** في «الكوميديا الإلهية» يقوم دانتى برحلته في العالم الآخر برفقة ديليه فيرجيل، ورغم أن الرحلة تروي ما بعد الموت، فإن من الواضح أن دانتى أليغيري يتحدث عن الحياة، وأننا لم نستوعب «الكوميديا الإلهية» أبداً ككتاب عن عالم الموت بمقدار كونه كتاباً عن الحياة، عن جمالها وعن القيم التي تخترتها.

■ **دومينيكو دي مارتينو:** بالضبط، كما تقول، إنه كتاب عن «الحياة»، وقبل أن يكتب دانتى «الكوميديا الإلهية»، تواجهه كتب كثر، وبلغات مختلفة، مع الموت عبر رحلات متخيلة في العالم الآخر، وبالذات في الجحيم، لكن كانت لجميع هذه الكتب مَهْزات، مباشرة أو غير مباشرة، ذات طابع ديني أو اعتقادي، إذ كانت ترمي إلى إرهاب الناس وإلحاق بهم على عدم اقتناعهم بالخطايا، في حين، يحمل دانتى البشر، عبر ممالكه الثلاث في العالم الآخر، أي الجحيم والمطهر والفردوس، صوب التحرر من تلك الخطايا.

وبرغم الحضور الكبير للعقاب عن الخطايا المقترفة والتشريح المفصلة لذلك العقاب، فإن كل ما يحدث في «الكوميديا الإلهية» يرمي إلى التحرر من تلك الخطايا وإلى الغفران، وقد أعلن دانتى عن ذلك صراحة في إحدى رسائله مؤكداً أن هدفه الأساسي هو «اقتياد العالم نحو السعادة» وهذا هو الأمل.

لكني واثق من أن للإنصات إلى الآخر تأثيراً إيجابياً هاما. نحن الآن نتحدث عن دانتى أليغيري، لكن إذا ما وسعنا الدائرة وتحديداً بشكل أعم، عن الشعر والفكر وعن الإنسانية الحقيقية فإننا سننقذ شيئاً ما، لا أعني أننا ننقذ حيوات بشر، لكننا ننقذ ما يمكن أن يعود بالنفع والخير على البشر ويسهم في عيشهم بشكل أفضل.

### صوت الشاعر

■ **الجديد:** بروفييسور دي مارتينو، كنت تعرف قصائد الشاعر السوري نوري الجراح بالإيطالية قبل الأسمية التي حضرناها معا، لكنك، رغم عدم معرفتك باللغة العربية أردت الاستماع إلى القصائد العربية مؤداة من قبل الشاعر. كم هو مهم، براك، ترجمة الشعر العربي، بالذات في هذه الفترة، وكم هو مهم الاستماع إلى شاعر يلقي قصيدته بالعربية على مستمع إيطالي؟

■ **دومينيكو دي مارتينو:** ترجمة الشعر العربي إلى اللغات الأخرى أمر في غاية الأهمية، وإلا فإن الكلمات ومعانيها لن تصل إلى القارئ أو المستمع دونها. لكن هناك أهمية استثنائية لمسألة الاستماع إلى ذلك الشعر مؤداة، والأهم من ذلك، أن يكون الملقى هو الشاعر نفسه، لأن الكلمات ونغماتها تستلصق إلى الأسماع بالطريقة التي تم التفكير بها من قبل من سطر كلماتها بنفسه.

كنت سافهم القصائد مترجمة كمنص، لكني بالتأكيد كنت سافقد الكثير لو لم أستمع إليها مؤداة بصوت نوري الجراح، فربما كانت ستصلني رسالة محدودة الفعل.

بطبيعة الحال كان المحتوى معبراً عنه بالترجمة، لكن مع الأخذ في الاعتبار بأنني لا أمتلك مفردات الحكم على الترجمة ومدى أمانتها للنص الأصلي، لإيقاعه ولعاني الكلمات فيه، فإن ما وصلني من القراءات باللغة العربية هو ما كانت تبثه الروح الشعرية للشاعر نفسه، وهي روح، بالإضافة إلى كونها لشخص واحد، تعبير عن تقاليد عريقة، وعن أشياء بدت لي وكأنها، رغم أنها قيلت بلغة لا أفهم منها أي شيء، قريبة من تقاليدنا القديمة، وكمثال، أشير إلى بعض التكرارات التي تلمستها، وبعض الإيقاعات

والسلاسة اليومية التي تقال فيها الكلمات، بنعومة، بقساوة أو بحزم، وبمقدور كل ذلك أن يحدث تغييراً في مغزى ومعنى ما يقال، أو أن طريقة القول تدرجها في إطار مغاير للكلمة المكتوبة ملكة إياها قيمة مغايرة. كان الاستماع إلى قصائد

فالإنصات إلى الآخر قد يحول دون الكثير من الحروب ودمارها المربع. ولو توقفتنا لوهلة قصيرة للإنصات إلى الآخر والاستماع إلى ما يقول، حتى في مراحل اجتياحنا من قبل الحروب، فإن ذلك يعني أننا ننقذ تلك الوهلة القصيرة من لهب الدمار والحرب، وإذا ما امتدت تلك الوهلة إلى خمس دقائق فذلك أفضل، وإذا ما دامت لخمس سنين فهو أفضل وأفضل، وإذا ما دامت إلى الأبد فسنتكون في العالم الأجل على الإطلاق.

إن فعل الإنصات إلى الآخر هام للغاية، ودون إيهام الذات أو اختلاق الأحلام، أقول إن العالم ليس فضاء سهلاً، بل هو فضاء عسير ومعقد، فنحن، كبشر محكومون، بفعل طبيعتنا، باقتراح عدد من الأخطاء التي تؤول أحياناً إلى تداعيات مرعبة، سواء في حيواتنا الخاصة، أو على صعيد فعلنا المجتمعي. وعندما نتصرف خطأ في حياتنا الخاصة ندفع ثمن ذلك الخطأ، وتكون التداعيات أكثر رعباً عندما يتعلّق الأمر بحياة الشعوب والأقوام.

■ **الجديد:** يشبه هذا الأمر حالة استخدام مفردة «الحب» من قبل ملايين الشعراء والكتّاب، ولو قرأت لكل واحد منهم لاكتشفت فيه ما هو فريد وجديد وخاص بذلك الشاعر أو الأديب.

■ **دومينيكو دي مارتينو:** بالضبط، هناك دائماً ما هو جديد في المشاعر الإنسانية التي تنطلق من الحب لأنه ينطلق من الخصوصية المختلفة عن الخصوصيات الأخرى. ليس في الدنيا كلها من هو شبيه، بالمطلق، بأي شخص آخر.

ونحن نقرأ هذا النوع من الكتب نكتشف بأن الحب هو ما يكون أصرة الأشياء وليست الحرب، فبإمكان الحب أن يكون هو الإله أو أن يكون الطبيعة، لكنه، في نهاية المطاف هو من يمنح الأشياء قيمتها وكنهها، بالأساس، كما هو اليوم، أينما أحرز كثيراً من إسقاط الماضي على ما يحدث في حاضر اليوم، لكن إذا لم يكن الماضي قادراً على أن يوضح لنا بعضاً مما نتواجه معه اليوم، فهو ماضٍ ميت وناقص بالتأكيد، لذلك أقول إن أمامنا اليوم فرصة ذهبية للتجاوز واكتشاف الاختلافات، الفخيمات وأوجه التشابه والقرب، وإن التأمل في كل ذلك وإعادة النظر في ما يبدو أنه صار من المسلمات السلبية أمر في غاية العجالة والأهمية.

أنا أعتقد بأنه لو كان دانتى أليغيري حياً يترق بيننا لدعانا إلى الحوار، ولشعر بفرح لا نهائي وهو يرانا نتواجه متحاورين، وأكثر من ذلك لو أن أحدنا يستمع إلى الآخر، فما بالك إذا تمكن أحدنا من الإنصات إلى شعر الآخر، واستشعر ما يختزنه ذلك الشعر، بالفعل، من فراء للجمع. فالشعر إنقاذ للعالم من هول الحروب والصراعات.

■ **الجديد:** هذا يعني أنك تتق باقتدار الشعر على إنقاذ العالم؟

■ **دومينيكو دي مارتينو:** لست وإها ولا حالاً، لكني أتق بذلك بالتأكيد، وأتق بأن القدرة على الإنصات إلى الآخر ستحول دون حدوث صراعات ومواجهات، وسواء أكان ذلك داخل مبنى سكني متعدد العائلات أو في حي أو مدينة، وإذا ما وسعنا

والإسلامية. لا أرتب أن يبدو حديثي هذا لاهوتياً، فاللاهوت ليس مجال بحثي ولا أمتلك مفردات الخوض فيه، بل أنا أحدث عن مفردات الشعر والإلهام البشري والتأمل.

### الإنصات إلى الآخر

■ **الجديد:** يشبه هذا الأمر حالة استخدام مفردة «الحب» من قبل ملايين الشعراء والكتّاب، ولو قرأت لكل واحد منهم لاكتشفت فيه ما هو فريد وجديد وخاص بذلك الشاعر أو الأديب.

■ **دومينيكو دي مارتينو:** بالضبط، هناك دائماً ما هو جديد في المشاعر الإنسانية التي تنطلق من الحب لأنه ينطلق من الخصوصية المختلفة عن الخصوصيات الأخرى. ليس في الدنيا كلها من هو شبيه، بالمطلق، بأي شخص آخر.

ونحن نقرأ هذا النوع من الكتب نكتشف بأن الحب هو ما يكون أصرة الأشياء وليست الحرب، فبإمكان الحب أن يكون هو الإله أو أن يكون الطبيعة، لكنه، في نهاية المطاف هو من يمنح الأشياء قيمتها وكنهها، بالأساس، كما هو اليوم، أينما أحرز كثيراً من إسقاط الماضي على ما يحدث في حاضر اليوم، لكن إذا لم يكن الماضي قادراً على أن يوضح لنا بعضاً مما نتواجه معه اليوم، فهو ماضٍ ميت وناقص بالتأكيد، لذلك أقول إن أمامنا اليوم فرصة ذهبية للتجاوز واكتشاف الاختلافات، الفخيمات وأوجه التشابه والقرب، وإن التأمل في كل ذلك وإعادة النظر في ما يبدو أنه صار من المسلمات السلبية أمر في غاية العجالة والأهمية.

أنا أعتقد بأنه لو كان دانتى أليغيري حياً يترق بيننا لدعانا إلى الحوار، ولشعر بفرح لا نهائي وهو يرانا نتواجه متحاورين، وأكثر من ذلك لو أن أحدنا يستمع إلى الآخر، فما بالك إذا تمكن أحدنا من الإنصات إلى شعر الآخر، واستشعر ما يختزنه ذلك الشعر، بالفعل، من فراء للجمع. فالشعر إنقاذ للعالم من هول الحروب والصراعات.

■ **الجديد:** هذا يعني أنك تتق باقتدار الشعر على إنقاذ العالم؟

■ **دومينيكو دي مارتينو:** لست وإها ولا حالاً، لكني أتق بذلك بالتأكيد، وأتق بأن القدرة على الإنصات إلى الآخر ستحول دون حدوث صراعات ومواجهات، وسواء أكان ذلك داخل مبنى سكني متعدد العائلات أو في حي أو مدينة، وإذا ما وسعنا

الإنصات إلى الآخر ستحول دون حدوث صراعات ومواجهات، وسواء أكان ذلك داخل مبنى سكني متعدد العائلات أو في حي أو مدينة، وإذا ما وسعنا

لم تكن حياة الشعراء دائماً وعلى مرّ العصور، هانئة هادئة أو نائية عن المخاطر، وباستثناء حالات قليلة، أو فترات ضئيلة، نال فيها بعض الشعراء حظوة عند الحاكمين، فإن أغلبهم، وبصرف النظر عن مستوياتهم أو نوعية أنظمة الحكم التي عاشوا في ظلها أو تحت ربقتها، نالوا ممّا ناله أبناء شعوبهم من جور وعسف وفاقة وتشريد. وينطبق هذا خصوصاً على الشاعر الإيطالي دانتى أليغيري (1265 - 1321) الذي كتب «الكوميديا الإلهية»، والذي يعتبر من أعظم الشعراء الأوروبيين ويحتفل العالم بذكره الـ 700 بعد أشهر.

سيلقي مترجمو الكوميديا الإلهية إلى اللغة الفرنسية والنرويجية والإسبانية إضافة إلى رئيسة قسم الدراسات الإيطالية في جامعة القاهرة، وقد دعونا الشاعر العربي نوري الجراح لحضور أمسية القراءة، والذي سيحمل إلينا تجربته كشاعر وكممثل لحضارة ولغة أخرى، لكنهما حضارة ولغة وثقافة الصلة بتجربة دانتى أليغيري، واعتقد بأن هذه التجارب المختلفة ستثري وتزيد من المشتركات ما بين هذه الثقافات وتفتح فضاءات للحوار حول ما يختلف عليه.

■ **الجديد:** فيما كانت للغات والثقافات الأخرى، ولا تزال، أصرة تأثر دانتى أليغيري وبالكوميديا الإلهية، فقد أكرت دراسات كثيرة على وجود أصرة مغايرة لدانتى مع الثقافة العربية، وبإمكاننا الجزم بأن هناك علاقة وطيدة ما بين نصّ «الكوميديا الإلهية» وأعمال من الثقافة العربية، مثل «رسالة الغفران» لأبي العلاء المعري، على سبيل المثال، لا الحصر.

■ **دومينيكو دي مارتينو:** اعتقد بأنك على حق، وأرى بأنه رأي معقول لا لبس فيه. ففي عصر دانتى كان فضاء عالم «المتوسط»، وما حواليه متسعاً وكبيراً بكثير ممّا قد يتخيله البعض، إلا أنه كان، في الوقت ذاته، صغيراً وضيّقاً، وكان فضاء غير مستحبل المثال أو الوصول إلى أوجاهته. ولم تقتصر الحركة على التجارة وعلى انتقال الأشخاص، بل أيضاً، وربما بشكل خاص، على حركة الأفكار والرؤى.

كانت ضوضاء الخلفية في ذلك الزمان أدنى صخباً بكثير ممّا هي عليه منذ ما يربو على قرن، وصار الصخب في السنوات والشهور الأخيرة يصبم الأذان ويوشك على إغماء الأبصار، وربما البصائر أيضاً. لقد عثر باحثون كبار على تشابهات ما بين ارتقاء النبي محمد في محجزة «الإسراء والمعراج» و«رسالة الغفران» لأبي العلاء المعري و«الكوميديا الإلهية» لدانتى، كما وجدوا في جميع هذه المنجزات تقارباً يشبه التطابق في الرحلة إلى العوالم في الحياة الأخرى.

■ **الجديد:** لو أخذنا في الاعتبار التراتب الزمني لهذه الأحداث والمؤلفات، فهل بإمكاننا اعتبار ما نتج في ما بعد نسخاً، استعارة، تناصاً، أم ماذا؟

■ **دومينيكو دي مارتينو:** بإمكانني الجزم بأنه ليس نسخاً، لم ينسخ أحد من الآخر، بل إن تلك الأفكار شاعت وانتشرت ليس فقط عبر الكتب، بل أيضاً عبر المحاورات والكلمات والقناعات، وجميعها أمور جعلت من «المتوسط» منبع إرثاً لجميع الأقوام والجماعات التي مرتت به أو تتساطت معه، وامتد أثر ذلك حتى أبعد من الفضاء الجغرافي البحت للمتوسط، إذ كانت هذه المنطقة مراً ومعبراً لكل ما يمكن أن يُتبادل به من أشياء وأفكار ما بين الشرق والغرب وما بين الشمال والجنوب، من شمال أوروبا وغربها وصولاً إلى الهند والصين. الأفكار تتحرر بحرية حتى أكبر من حركة البشر أنفسهم، وقد تولد في بعض الأحيان صداماً بين الثقافات، لكنها تولد بالتأكيد حواراً، انظر إلى ما هو قائم، حتى اليوم، في إسبانيا وفي صقلية.

لكن ينبغي التذكير بأن ذلك الحوار لم يكن ودياً على الدوام، بل كان، في كثير من الأحيان، مشحوناً بالكثير من سوء الفهم، ليس علينا أن نتخيل ما أسميه حواراً بما لم يكن عليه بالفعل. بالتأكيد، وفي رأيي، لو تأملنا في عدد من الموضوعات التي وردت في بنية «الكوميديا الإلهية»، وبالذات تلك التي لها صلة بالعالم الآخر، فإننا سنجدنا متشابهة في الثقافتين المسيحية



عرفان رشيد  
كاتب عراقي

كتب دانتى أليغيري «الكوميديا الإلهية» متضرعاً أن يمن عليه الربّ بلغة قوية: توصله إلى الآتين في المستقبل، وهو المنفى من فلورنسا والملاحق من قبل سلطاتها واللاجئ إلى رافينا التي احتضنته وضمت رفاته، وها هي تستعد لتحتفل في شهر سبتمبر من عام 2021 بالذكرى المئوية السابعة لوفاته، وحتى ذلك الحين، فإن مدينة رافينا ومنذ سبع سنين تحتفل في أواسط سبتمبر من كل عام بهذه القامة السامقة التي فريدت ظلها على الثقافة الإيطالية وطالت بها ثقافات أخرى، رغم أن مصيره الشخصي في ظل الصراعات السياسية في عصره كتب عليه أن ينتهي منقياً، مقصياً من مسقط رأسه فلورنسا، ومحكوماً عليه فيها بالإعدام، وقد نجا بنفسه من ذلك الحكم ملتجئاً إلى مدينة رافينا الشمالية الشرقية ذات الحرف التاريخي الذي تذكره أدبيات العصر الهيليني، فاحتضنته وأوته واستضافته ومنحته مآواً الأخرى.

### المتوسط منبع إرثاً لجميع الأقوام فهو ممر لتبادل الأشياء والأفكار ما بين الشرق والغرب وما بين الشمال والجنوب

استعدت ذلك وأنا أحوار دومينيكو دي مارتينو، الباحث والبروفيسور الفلورنسي المعروف، بعد أمسية قراءات شعرية في فلورنسا لشاعر عربي قادم من لندن، ومارتينو هو مدير مهرجان «دانتى 2021» ويشغل الموقع منذ ثمانين عاماً، وهو مهرجان سنوي تمهيدي يُقام في مدينة رافينا استعداداً للاحتفاء الكبير بشخصية وإنجاز صاحب الكوميديا الإلهية وتأثيره على الثقافات في العالم، والذي تستعد إيطاليا له منذ سنوات ممثلاً بالذكرى المئوية السابعة لوفاته، وذلك في العام بعد القادم.

### دانتى والعرب والمتوسط

■ **الجديد:** لماذا تحتفي رافينا بهذا الشاعر بدلا من فلورنسا التي أعادت الاعتبار إلى ابنها البار منذ قرون؟

■ **دومينيكو دي مارتينو:** السبب في ذلك أن دانتى أليغيري توفي في رافينا ودفن فيها، ورافينا هي المدينة التي أوته بعد أن اضطر إلى الهرب من مدينته فلورنسا وعلى رأسه سيف دامقليس بفعل قرار بالإعدام أصدرته ضده سلطات المدينة بسبب أفكاره وأرائه. لكن فكرة المهرجان انطلقت من معلى ماتري ملموس وبسيط، لا يوجد يوم مخصص لدانتى أليغيري في إيطاليا، كما هو الحال بالنسبة إلى اليوم المخصص لسيرفانتيس في إسبانيا، أو كما هو الحال في إنجلترا حيث هناك يومان خصص أحدهما لشكسبير والآخر لجيمس جويس، لذا فكرياً، أو بالأحرى، فكر بذلك باولو دي ستيفانو، الصحافي في جريدة «كوريري ديلا سيريا» لنقل هذا التقليد إلى إيطاليا وقمته على ذلك الكثيرون وحاولت أنا أيضاً تقديم مساهماتي في هذا الإطار.

وللأهمية التاريخية والجمالية التي امتلكتها دانتى أليغيري على ثقافات عديدة في العالم، فقد فكرنا في تخصيص أمسية واحدة يتلاقى خلالها ممثلو العديد من الثقافات ليمنحوا قراءتهم لدانتى وتأثيراته على ثقافتهم وعلى أداء الشعراء لديهم. ففي مساء الثالث عشر من سبتمبر